امتاز العرب القدماء بالفصاحة في نطقهم، والبيان والبلاغة في تعبيرهم ، وكانت تقام في الجاهلية أسواق تعنى بقضايا اللغة العربية كسوق عكاظ الذي يأخذ منه الشعراء والبلغاء ما أجمعوا على استحسانه ، واستعملوا هذه اللغة المختارة أداة للتعبير عما يجول في صدورهم من أحاسيس ومشاعر، ومن ثم أضحت لغة قبائل الجزيرة هي اللغة الفصيحة السليمة من الخطأ بخلاف المناطق الأخرى التي اختلطت بغيرها من الأمم نتيجة التجارة .

وكان البحث في دلالات كلمات اللغة العربية بوصفها لغة القران ولغة الرسول ﷺ مما تنبه إليه اللغويون القدماء ، ويعد هذا الاهتمام المبكر بالدلالة نضجاً أحرزته العربية ، وما الأعمال العلمية الدلالية المبكرة عندهم ، كضبط المصحف الشريف بالشكل إلا دليل على ذلك ، فتغيير ضبط الكلمة يؤدي إلى تغيير وظيفتها، وهذا يترتب عليه تغيير في معناها ، فأصبح البحث في علومها لازما لفهم الكتاب والسنة، ولقي الدرس الدلالي اهتماما بالغا منذ بداية البحث اللغوي عند العرب لأهميته في معرفة دلالات الألفاظ [1] .

ويعود الفضل للقرآن الكريم في نشأة الدراسات اللغوية وتطورها ، فلم يكن حرص العرب على العربية، وتشددهم في المحافظة عليها إلا رغبة منهم في حفظ لغة القرآن ، ليظل مفهوما، مقروءًا ، متدارسا على مدى الدهر ، فزاد من أجل ذلك الإقبال على دراسة القرآن واللغة والشعر، وبدأت حركة كبرى لجمع اللغة من البوادي ، ورحل من أجل ذلك العلماء، وعادوا بما اجتمع لديهم من كلام العرب، حتى امتلأت به صحفهم وخزائنهم ، وهكذا كان القرآن دافعا لكثير من العلماء للاطلاع على اللغة،

1 ينظر: الخصائص، أبو الفتح ابن جني (ت392هـ)، تح: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت): 2/146-152 .

وتحمل المشاق في سبيل جمعها، ومعرفة المزيد من أسرارها، وتحديد معاني مفرداتها، والإلمام بفنونها المتنوعة .

إن أسلوب القرآن ومنهجه في التصوير، والتشبيه، والاستعارة، والكناية دفع القدماء إلى التأليف في الأداء البياني للنص القرآني والبنية البلاغية ، و إبداع التصوير في القصص القرآني جعل المفسرين يقفون مشدوهين أمام عظمة هذا الكتاب المنزل ، و أئمة البلاغة منبهرين أمام أسلوبه و بيانه ، فحاولوا الوقوف أمام دلالاته و أسراره .

1 – تعريف الدلالة لغة و اصطلاحاً :

الدلالة : " مصدر الدَلِيْل – بالفتح والكسر – [1] . وأصلها في العربية حسّي ، يراد به الاهتداء إلى الطريق ، ثم استعملت للدلالة على الهداية المعنوية العامة والشرعية[2] .

فالدلالة في اللغة مأخوذة من مادة "دلّ " ، وهي تشتمل على أكثر من معنى، وفي مقدمتها "البيان والدليل" ، قال "ابن فارس" [3] : " الدال واللام أصلان ، أحدهما : إبانةُ الشيء بأَمارة تتعلمها ، والآخر : اضطرابُ في الشيءِ ، فالأول قولهم : دَلَلْتُ فلاناً على الطريق . والدليل الأَمارة في شيءٍ " .

---

1 أبوعبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، مادة (دل) ، تحقيق : د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي ، دار الشؤون القافية ، منشورات وزارة الثقافة الأعلام ، 1984م .

2 ينظر د. كاصد الزيدي ، الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي ، ، مجلة آداب الرافدين – كلية الآداب – جامعة الموصل ، العدد 26، سنة 1995م .

3 أبو الحسين أحمد بن فارس معجم مقاييس اللغة ، مادة (دل) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، المجمع العلمي العربي الإسلامي / 1392هـ – 1972م .

ومصطلحات " الدلالة و الدليل و الاستدلال" معروفة لدى اللغويين العرب، إذ عرفوها منذ أقدم عهود الإسلام ، ويظهر ذلك مثلاً في كتابات " ابن قتيبة ت 276هـ" ، متمثلاً باستنباطه دلالات غريب الألفاظ القرآنية ، وذلك بالرجوع إلى استعمالات العرب لتلك الألفاظ ودلالاتها ، ولذلك نجده يُقرر أنّه لا يَعرِف فضل القرآن [1] إلاّ "من كثُر نظره ، واتّسع علمه ، وفَهِمَ مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب " .

ويُلحظ ذلك أيضاً لدى " ابن جني ت 392هـ" ، الذي عُني بدلالات الألفاظ ، عاقداً لذلك باباً في خصائصه عنوانه " في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية " ، قسّم فيه الدلالة على ثلاثة أقسام ، جاعلاً ترتيبها بهذه الصورة يعتمد على قوة كل دلالة وضعفها ، مبيناً : " أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب : فأقواهُنَّ الدلالة اللفظية ، ثم تليها الصناعية ، ثم تليها المعنوية " [2]، عارضاً لكثيرٍ من الأمثلة التي توضح ما ذهب إليه ، وكذلك فعل "أبو بكر الباقلاني ت 403هـ" [3]، إذ ذكر : الاستدلال ، والدليل ، والدال ، والمدلول ، والمُسْتَدِل ، وبيّن ماهية كل منهما ، ذاكراً : " أنَّ الاستدلال هو: نظر القلب المطلوب به علم ما غاب عن الضرورة والحس" ، وأنّ " الدليل هو: ما أمكن أن يتوصل بصحيح النظر إليه إلى معرفة ما لا يُعلم باضطراره" ، وأنّ "الدال هو : ناصب الدليل" ، وأنّ "المدلول هو : ما نُصِب له الدليل" ، وجعل "المُستدل : الناظر في الدليل ، واستدلالُه : نظر في الدليل وطلبُهُ به علم ما غاب عنه".

---

1 ينظر: زينب عبد الحسين السلطاني ، التأويل عند ابن قتيبة في كتابيه (تأويل مشكل القرآن) و(تأويل مشكل الحديث) – رسالة ماجستير مطبوعة ، ، كلية التربية للبنات – جامعة بغداد /1999 م .

2 ابن جني ، الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط2، ج3 ، ص98.

3 الأنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به /15 ، تحقيق : محمد زاهد الكوثري /ط2 ، مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر – مصر ، 1382هـ – 1963م .

أما لدى الغربيين ، فقد ظهر مصطلح " الدلالة " لأول مرة " في نهاية القرن التاسع عشر على يد الفرنسي "ميشال بريال–Michel Breal " ، وذلك سنة 1883م قاصداً به علم المعنى" .

أما "الدلالة" اصطلاحا ، فقد حدّها "الراغب ت 425هـ" بأنّها : "ما يُتَوصَّل به إلى معرفة الشيء ، كدلالة الألفاظ على المعنى ، والإشارات ، والرموز الكتابية ، والعقود في الحساب " [1]، وحدّها "السيد الجرجاني ت 816هـ" : "بكون الشيء بحالةٍ يلزم من العلم به العلم بشيءٍ آخر ، والشيء الأول هو : الدال ، والثاني هو : المدلول" [2].

2 – لفـظ "الدلالة" في القــرآن الكريم:

إنّ المعـاني التي جاءت في القـرآن الكريم لصيغـة دلّ لا تختلف كثيـراً عن دلالة المصطلح العلمي الحديث، فإذا كان معنى "دلّ" في القرآن يعني الإعلام والإرشاد والإشارة والرمز، فإن المصطلح العلمي للدلالة الحديثة لا يخرج عن هذه المعاني إلا بقدر ما يضيف من تحليل عميق للفعل الدلالي، كالبحث عن البنية العميقة للتركيب اللغوي بملاحظة بنيته السطحية، أو افتراض وجود قواعد دلالية على مستوى الذهن تكفل التواصل بين أهل اللغة الواحدة ، و قد وضـح الدكتور منقور عبد الجليل ذلك في كتابه " علم الدلالـة "[3] ، و بيـّن أن القـرآن الكريـم جـاء على ذكـر الأصل و الجذر

1 الراغب الأصبهاني الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن ، مـادة (دل) ، أعده للنشر : د. محمد أحمد خلف الله ، مكتبة الأنجلو المصرية ، المطبعة الفنية الحديثة –القاهرة / 1970م .

2 الجرجاني السيد الشريف ،التعريفات ، مادة "دل" . وكشاف اصطلاحات الفنون ، لمحمد علي التهانوي (ت في القرن 12هـ) 284/2 ، تحقيق : د . لطفي عبد البديع ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، دار الكتاب العربي ، (د .ت) .

3 عبد الجليل منقور،علم الدلالة ، ص23– 24.

للفظ " دلّ " بمشتقاتها في ثمانية مواضع[1] ، و فصل في هذه المواضع ، و جاءت المناسبة الأولى للفظ الدلالة في سورة الأعراف يقول المولى ﷻ : ﴿فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ﴾[2] ، و هي حينما أرشد الشيطان – عليه لعنة الله – سيدنا آدم و زوجه إلى الشجرة التي نهاهما الله ﷻ عن الاقتراب منها ، و كانت سبباً في خروجهما من الجنة ...

كما ورد ذكر صيغة المضارع لفعل" دلّ " في سورة القصص يقول المولى ﷻ : ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾[3] ، و هذا عندما ذهبت أخت موسى عليه السلام لتعرض على زوجة فرعون أهل بيت يكفلون لهم رضيعهم " موسى عليه السلام " الذي وجدوه في اليم ، حتى يرده الله إلى أمه ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4]

و ورد في سورة طه في نفس سياق قصة غواية إبليس لآدم ، يقول المولى ﷻ : ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾[5] ، فكانت بصيغة المضارع " أدلّك " بغرض السرد القصصي الذي يصور إبليس كأنه لا يزال يهمس في أذن آدم عليه السلام ..

وقد جاء في سورة الفرقان قوله ﷻ : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾[6] ، استعمال " الشمس" و "دليلاً " في هذه

1 ينظر: الأعراف/22، وطه/40، 120، والفرقان/45، والقصص/12، وسبأ/7، 14، والصف/10.

2 الأعراف : 22 .

3 القصص: 12 .

4 القصص: 13 .

5 طه: 120.

6 الفرقان : 45 .

الآيـة يُبرُز العلاقة الرمزية بين الدال والمدلول ، " فلولا الشمس ما عُرف الظل، فالشمس تدل على وجود الظل، فكلمة "دليلاً " في الآية الكريمة هي بمعنى دالة ، لأن الوظيفة التي تقوم بها الشمس في هذا المقام هي وظيفة إظهار الظل، والإرشاد إليه، وهذه هي الدلالة بعينها ، إذ ليس المقصود من الدلالة هو الدال أو المدلول، وإنما تعني الوظيفة التي يؤديها الدال ليدل على مدلوله، فالشمس في الآية هي الدال، والظل هو المدلول عليه، وما تقوم به الشمس من دور حتى تظهر الظل "المدلول"، وترشد إليه هو الدلالة ، فهي شبيهة بعلاقة النار بالدخان، الذي يمثل به الدلاليون للعلاقة الطبيعية التي تربط الدال بمدلوله " [1].

أمـا في سـورة سبـأ في قول المـولى ﷻ حكـاية عن سليمـان عليه السلام : ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾[2] ، فلمـا أكلت الأرضـة منسـأتـه خـرّ عليه السلام و تبيـّنت الجـنّ أنـّه كان ميّـتا ، ولم يـعد يحـاصرهم ، فأراد المـولى ﷻ أن يبين للجن أنّهم ليسوا أفضل من أحقر مخلوق ، " الأرضة " أو دودة الأرض التي دلـّتـهم على مـوت سليـمان ، فمـا أبعدهم عن علم الغيب ...

كمـا وردت بصيـغـة الجمـع قبلـها و في نفس السـورة " سبـأ " في قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[3]

و كذلك وردت بصيغـة الجمـع في سورة طـه في سيـاق قصة موسى عليه السلام

[1] عبد الجليل منقور ،علم الدلالـة ، ص 24.

2 سبـــــأ : 14 .

3 سبـــــأ : 7 .

يقول ﷻ على لسان أخته : ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾[1].

أما الموضع الثامن الذي ذكرت فيه صيغة من صيغ "دلّ " فهو في سورة الصف يقول ﷻ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2].

3 – أنواع الدّلالة :

الدلالة أنواع متعددة ومختلفة ، أهمها وأظهرها في بحوث ومؤلفات اللغويين ، والمفسرين ، والأصوليين الآتي :

أ –الدلالة الوضعيّة:

وهي الدلالة التي يجد فيها " العقل بين الدال والمدلول علاقة الوضع ، ينتقل لأجلها منه إليه"[(1)]. فهي التي تبدأ بالمعنى الحسي ، وتنتهي بالمُجرّد ، وهو المعنوي ، فتكون إحدى هاتين الدلالتين أصلية حقيقية وهي " الحسِّية " ، وتكون الثانية فرعية مجازية أو اصطلاحية . وقد جعلت الثانية مجازية لتشابه الصور الذهنية ، لأن المحسوسات أول ما لفت انتباه الإنسان[(2)] .

---

1 طـــه : 40 .

2 الصف : 10 .

1 كشاف اصطلاحات الفنون 288/3 .

2 الأضداد في اللغة / 58 .

ويحدث هذا الانتقال الذي بين الدلالتين بصورة تدريجية ،" ولا بد لهذا الانتقال من زمن قد يطول ، قبل أن ينتهوا إلى المعنى الأخير ، والذي يُمثل ضرباً من التطور في تفكير الإنسان ، وسُمُوّا في إدراكه "[3].

وعلى هذا الأساس يتبين أنَّ اللفظة لا تقف عند دلالتها الوضعية الأصلية غالباً ، بل كثيراً ما تشهد تطوراتٍ دلاليةٍ عبر أزمان عدة ، مع وجود علاقة دلالية تصحب المعنى القائم ؛ إذ يُلحظ أنَّ اللفظة مع انتقالها من دلالةٍ إلى أخرى ، فإنَّ المعنى الأول يبقى موافقاً لها . مثال ذلك الفعل "عَقَلَ " بمعنى " فَهِمَ " فهو مأخوذٌ من قولهم : عَقَلْتُ البعيرَ أعْقِلهُ عقلاً ، إذا جَمَعْتُ قوائمه وشددته بالعِقال[1]. فالأصل في "العقل" إذن : "الحبس والمنع والتقييد" [2]

وبناءً على هذا فالدلالة الوضعية هي : أول دلالة في الاستعمال اللغوي ، وهي الدلالة الأصلية ، وقد يُطلق عليها " المُعْجمية " أيضاً ، وتكون عادةً حسِّية ولا تكون معنوية ، إلا بعد تطور دلالي في استعمالها ، وذلك لما هو ثابت في الدراسات الدلالية الحديثة ، من أنَّ اللغة تسير في تطورها من الإشارة إلى العبارة ومن التجسيد إلى التجريد[3] .

وتعرف هذه الدلالة أيضاً بـ " المطابقية " وهي الدلالة التي يكون منشؤها الوضع ويُفهم بموجبه ، فدلالة المُطابقية إذن : دلالة اللفظ على تمام معناه الموضوع

---

3 د. كاصد الزيدي ، فقه اللغة العربية ، دار الكتب ، الموصل ، 1987م ، ص146.

1 ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي ، كتاب جمهرة اللغة ، (عقل) ، ط1 ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اياد – الدكن 1345هـ – 1926م ج3 ،ص128 .

2 ينظر: معجم مقاييس اللغة 4/69-70 (عقل) .

3 مصطفى جواد ، المباحث اللغوية في العراق 13 ، مطبعة لجنة البيان العربي ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية / 1955م ، ص 13 .

له أو مطابقته[1] ، مثال ذلك لفظ " البيت " الذي يدل بدلالةٍ مُطابقية على معناه الذي هو " البيت "[2] الذي يسكن فيه .

ب – الدلالة العُرفيّة :

وهي تحول الدلالة الوضعية إلى دلالةٍ جديدة بعرف الاستعمال ، لذلك أطلقوا عليها "العُرفية" ، وهي عند الجرجاني[3]: " ما استقرت النُفُوس عليه بشهادة العقل ، وتلقته الطبائع بالقَبول " .

فالاسم العُرفي هو : الاسم المنقول عن بابه بعُرف الاستعمال ، كاختصاص "الدابّة " بذوات الأربع التي هي بعض ما يدبُّ على الأرض ، ولو رجعنا إلى أصل وضعها اللغوي ، لوجدناها تُطلق على كل ما يدبُّ على الأرض[4] ، وكذلك اختصاص اسم "المتكلم" بالعالِم في الجدل العقيدي ، مع أنّه في أصل الاستعمال عام في كلِّ قائلٍ ، وبذلك برزت " للمتكلم " حقيقة جديدة بحكم استعماله الجديد في العصور الإسلامية .

ج –الدلالة الشرعيّة:

وهي الدلالة الجديدة التي جاء بها الإسلام ، إذ تنتقل اللفظة فيها من دلالتها اللغوية، التي كانت عليها قبل الإسلام ، إلى دلالتها الجديدة التي نطق بها القرآن الكريم ، أو الحديث النبوي الشريف، ثمَّ الصحابة والتابعون ، ثمَّ فُقهاء الإسلام.

فلفظ "الشريعة" أصله من الفعل " شَرَعَ "، ويدل في اللغة على: مَشرَعَة الماء ومورِد الإبل إلى الماء الجاري ، ثم أستعير شرعاً للدلالة على الأحكام الجزئية التي يقوم بها المُكلَّف معاشاً ومعاداً، والتي جاء بها نبّي من الأنبياء –صلى الله عليهم

1 محمد رضا المظفر ، المنطق، ، ط4 ، مطبعة النعمان – النجف 1972م ، ج1 ص39

2 الغزالي أبو حامد ، المستصفي في علم الأصول ، المطبعة الأميرية ، ببولاق –1322هـ ،ج1 ، ص 30.

3 الجرجاني ،التعريفات ص86 .

4 العسكري أبو هلال ، الفروق في اللغة ،تح : حسام الدين القدسي ،بيروت ، 1401هـ –1981 ،ص 50.

وعلى نبينا الكريم وسلم – من عند ربّه ، فأصبحت لها دلالتها الجديدة ، وهي: البيان والإظهار [1].

وقد أُطلق على هذه الطائفة من الألفاظ اسم " الألفاظ الإسلامية" التي هي : "من الألفاظ الاصطلاحية ، لأنَّها مما جاء به الإسلام ، واصطُلح عليه بهذه الدلالة الجديدة "[2] ، فكان العرب لا يعرفون تلك الألفاظ الاصطلاحية قبل الإسلام على النحو الذي عرفوها به أثنائه ، وحدّها " أبو هلال العسكري ت395هـ " بأنَّها : " ما نُقِل عن أصله في اللغة ، فسُمِّي به فعل أو حُكمٌ في الشرع ، نحو الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والكفر ، والإيمان ، والإسلام " [3] ، فالزكاة مثلاً تدل في اللغة على : النَّماء والزيادة ، مع مُلحظ اتصافها بالبركة ، قال الراغب: " أصل الزكاة النمو الحاصل عن بركة الله تعالى ... ، يُقال: زكا الزرعُ يزكُو ، إذا حصل منه نمو وبركة "[4].

وقال "ابن منظور ت711هـ" : "الزكاة في اللغة : الطهارة والنّماء والبركة " [5] ، أمّا دلالتها الشرعية فهي : زكاة المال المعروفة ، وهي تطهيرُه . قال ﷻ : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلوةَ وَآتُوا الزَّكَوةَ﴾[6] ، وقال ﷻ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوةِ فَعِلُونَ﴾[7].

1 ينظر : كشاف اصطلاحات الفنون 129/4 .
2 كاصد الزيدي ، فقه اللغة العربية ، ص 147 .
3 الفروق في اللغة ص 50 .
4 المفردات ص 218 (زكا) .
5 لسان العرب 78/19 (زكا) .
6 البقـرة : 110 .
7 المؤمنون : 4 .

د –الدلالة الصوتيّة :

وهي الدلالة التي تُستمد من طبيعة عدد من الأصوات[1]. وهي تسمية جديدة أطلقها علم اللغة الحديث ، فهي دلالة الجرس والإيقاع في لفظة ما أو تركيب مُعين على المعنى ، وهو ما يُطلق عليه في اصطلاح علم اللغة الحديث "الأنوموتوبويا" "Anomatopoeia" وتعني : الصلة الواضحة بين اللفظ والمدلول[2].

وتعد هذه الدلالة خصيصة من خصائص العربية ، وقد تحدَّث عنها ابن جني[3] في الباب الذي سماه " قوة اللفظ لقوة المعنى" ، وضرب لذلك أمثلة عدّة ، فقال فقال : "منه قولهم : خَشُنَ واخْشَوْشَنَ . فمعنى خَشُنَ دون معنى اخْشَوْشَنَ ؛ لما فيه من تكرير العين ، وزيادة الواو ، ومنه قول عمر –رضي الله عنه–: واخْشَوْشَنُوا وتَمَعْدَدُوا" أي : صيُروا ذوي خشونة ، شبيهين بمعدٍّ – وهو من آباء العرب القدماء – في الخشونة في المأكل والملبس وغيرهما.

هـ –الدلالة الحقيقية والمجازية:

الدلالة الحقيقية هي: دلالة أصلية، فقد تؤول الكلمة بخروجها من معناها الحقيقي إلى معنىً جديد هو "المجازي" بطريق التوسُّع اللغوي ، كالاستعارة ، والكناية ، والمجاز العقلي ، وما إليها.

فالحقيقة كما عرّفها عبد القاهر[4]: " كلُّ كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضِعٍ وقوعاً لا تستند فيه إلى غيرِهِ" ؛ أما المجاز فعرّفه[5]بأنه " كلُّ كلمةٍ أُريد بها غير غير ما وقعت لهُ في وضعِ واضعها لمُلاحظة بين الثاني والأول" ، أو بعبارة أُخرى:

---

1 إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو – مصر / ط2 – 1963م ، ص130.

2 المصدر نفسه /22 ، وينظر فقه اللغة العربية ، د. كاصد الزيدي / 135 .

3 ابن جني ، الخصائص 264/3 .

4 الجرجاني عبد القاهر ، أسرار البلاغة في علم البيان، دار المعرفة للطباعة ، بيروت1978م، ص324.

5 المصدر نفسه ، ص325.

إنّ " كلّ لفظٍ استُعمِل فيما هو موضوعٌ لهُ فهو حقيقةٌ... وفيما خرج عن موضوعه فهو مجازٌ " [1].

و –الدلالة الالتزامية :

وتعرف الدلالة المجازية بـ "الالتزامية" أيضاً، وهي: أنّ يدلّ لفظ على لفظٍ آخر–التزاماً– عن إطلاقه، كدلالة "السقف" على " الحائط "[2] ، فهذا المعنى غير المعنى الأول الذي أُطلِق ، لما بينهما من تلازم وارتباط .

ز –الدلالة التضمنية:

وهي: " فَهمُ العالِم بالوضع المعنيِّ من اللفظ على جزئه، أي جزء ما وضِعَ له ... كدلالة الإنسان على الحيوان الناطِق "[3] ؛ وُعرِّفت أيضاً: " بأن يدلّ اللفظ على جزء معناه الموضُوع له، الداخل ذلك الجزء في ضمنه "[4] ، كدلالة لفظ " البيت" على " السقف" بطريق التضمّن، لأنَّ "السقف" جزء منه ، إذ " البيت " عبارة عن السقف والحيطان[5].

1 الكليات 188/2.

2 المستصفي في علم الأصول 30/1 .

3 كشاف اصطلاحات الفنون 289/3.

4 المنطق 39/1، وينظر الأضداد في اللغة /61.

5 المستصفي في علم الأصول30/1.

4 – أقسام الدّلالة:

قسم ابن جني الدلالة ثلاثة أقسام: الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية، وفاضل بينها فجعل الدلالة اللفظية على رأس الدلالات الثلاثة ثم الدلالة الصناعية فالمعنوية ، بقوله: " فمنه جميع الأفعال ، ففي كل واحد منها الأدلة الثلاثة ، ألا ترى إلى قام و دلالة لفظه على مصدره ، ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه "[1].

أ – **الدلالة اللفظية:** وهي الدلالة المعجمية ودلالة البنية على الحدث، وقد عدّها ابن جني على رأس الدلالات الثلاث لأنها " دلالة أساسية تعد جوهر المادة اللّغوية المشترك في كل ما يستعمل من اشتقاقاتها وأبنيتها الصرفية "[2] ففعل "قعد" مثلاً يدل بصيغته المعجمية على حدث خاص ذي دلالة معينة وهو المصدر "القعود"، وإنه متعلق بفاعل تعلقاً معنوياً، ومنه اشتقت صيغ أخرى لها ارتباط بالدلالة الأساسية للفعل منها: مقعد –متقاعد– قاعدة ... . وما يجدر ذكره أن قيمة الدلالة الأساسية للصيغة الصرفية، تعد المركز الذي يستقطب كل الدلالات المتفرعة عنه، بحيث تدْخل في علائق وظيفية مختلفة وتبقى مشدودة إلى الدلالة اللفظية للفعل .

ب–الدلالة الصناعية: وهي دلالة بنية على الزمن ، وهي تلي الدلالة اللفظية، لأن اللفظ يحمل صورة الحدث الدلالي المستغرق لحيز زماني، " وإنما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل إنها وإن لم تكن لفظاً فإنها صورة يحملها اللفظ، ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتزم بها، فلما كانت كذلك لحقت بحكمه وجرت

1 الخصائص: 98/3.

2 فايز الداية ، علم الدلالة العربي ، ص 20.

مجرى اللفظ المنطوق به فدخلا بذلك في باب المعلوم بالمشاهدة" [1] ؛ فالدلالة الصناعية دلالة غير لفظية يستلزمها اللفظ في حكم الدلالة اللفظية، التي هي صورة تلازم الفعل، فأين كان هو مشاهداً معلوماً كان الزمن المقترن به معلوماً بالمشاهدة أيضاً، من مسموع اللفظ، وينظر ابن جني في هذا المجال إلى المصدر على أنه مجال مفتوح على الأزمنة الثلاثة فيقول: " وكذلك الضرب والقتل: نفس اللفظ يفيد الحدث فيهما، ونفس الصيغة تفيد فيهما صلاحهما للأزمنة الثلاثة على ما نقوله في المصادر "[2].

ج-الدلالة المعنوية: إن الفعل يحدّد سمات فاعله الذاتية والانتقائية، الأساسية والعرضية، من جهة دلالته، ويعرف ذلك بطريق الاستدلال، فيتحدد جنس الفاعل، وعدده، وحاله، ليس من الصيغة الصوتية للفعل بل من قرائن خارجية؛ ألا تراك حين تسمع " ضَرَب" قد عرفت حدثه وزمانه، ثم تنظر فيما بعد ، فتقول: هذا فعل ولابدّ له من فاعل ، فتبحث حينئذ إلى أن تعلم الفاعل من هو وما حاله، من موضع آخر لا من وضع مسموع ضرب ، ألا ترى أنه يصلح أن يكون فاعله كلّ مذكر يصحّ منه الفعل مجملاً غير مفصّل "[3].

1 الخصائص: 98/3.

2 الخصائص: 101/3.

3 المصدر نفسه ، 89/3-99.

5 – تعريف البلاغة لغة و اصطلاحاً :

البلاغة لغةً : الوصول إلى الشيء ، ومنه أُخِذتْ " البلاغةُ التي يُمدَح بها الفصيح اللسانِ ؛ لأنه يبلغ بها ما يريده " [1] .

البلاغـــة اصطلاحاً : لا تتجاوز ذلك ، فهي إنهاء المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ [2] ، فنلاحظ اتصالها الوثيق بالمعنى ، وهذا ما يتحد به البحث البلاغي مع الدلالي ، لكن البلاغة تركز على المعنى المؤثر في النفس ، والدلالة تعنى به وبغيره من المعاني التي لا يراد من بحثها بيان قضية التأثير في النفس وإمتاعها .

والبلاغة تبحث فيما ينبغي أن يكون عليه الكلام ، من: التعبير الجميل، وطرق أدائه، وقوانينه ، وذلك ما يظهر مما اعتادوا بحثه فيها تحت أقسام المعاني ، من: الخبر والإنشاء " وتعلقهما بالمخاطب وحاله" ، وإيراد الكلام على مقتضى الحال، وفي البيان من أداء المعنى بطرق مختلفة في الوضوح والتأثير، وفي البديع من التحسين التكميلي للكلام المنشأ فوق ما سبق ؛ وهذا ما تتضمنه الأبحاث البلاغية الحديثة المتخذة منهجاً آخر للتقسيم ، وذلك بتناول: المفردة، والجملة، والعبارة، والسياق، ودراسة موسيقى النص، وغيرها [3] ؛ فموضوع البلاغة هو النص المنشأ، تدرس القيم التعبيرية والمعنوية فيه .

---

1 ابن فارس أبو الحسين أحمد ، مقاييس اللغة ، ، تحـ : عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية ، ج301/1 .

2 السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة : ، ، المكتبة التجارية الكبرى ،مصر، ط13 ، 1963م، ص31 32 .

3 أحمد الشايب ، الأسلوب ، ، ط7 ، مط السعادة ، مصر ، 1976م ، ص35 فما بعدها.

6 – علاقة الدّلالة بالبلاغة :

تتصل البلاغة بالدلالة اتصالاً مباشراً ، ذلك أنّ الاهتمام بالمعنى هو جوهر الدلالة كما هو الحال بالنسبة للبلاغة مضافاً إليه حسن إخراجه و جمال صورته ، وإنّ الذي يعطي المزية لخطابٍ لغوي هو مراعاته للأسرار والدقائق التي تتعلق بجوهر اللغة لا بمظهرها ، آخذاً لبلوغ الغاية التي لا مبلغ بعدها تلك الارتباطات الدلالية التي يلتحم فيها الدال بمدلوله ضمن شبكة من العلاقات، تقتضي معرفة بالأصول القواعدية، و وعي بأسرارها، حيث لا تقف عند حدود المنطق والنحو، إنّما تأخذ فضلاً عن ذلك العلاقة اللغوية كتجسيد لدلالة هي عبارة عن نسيج حي متشعب الصور، يقول " الجرجاني " في ذلك متجاوزاً نظرة "الجاحظ" إلى البيان المؤسّس على معايير هي أشبه بالقواعد النحوية: " تَرى كثيراً منهم لا يَرى له (للنحو) معنىً أكثرَ ممَّا يُرى للإشارةِ بالرأس والعين وما يجده للخَطِّ والعَقْد يقولُ: إنَّما هو خبرٌ واستخبارٌ وأمرٌ ونهيٌ ، ولكلٍّ مِن ذلك لفظٌ قد وُضِعَ له وجُعِلَ دليلاً عليه ، فكلُّ مَنْ عَرف أوضاعَ لغة منَ اللّغات عربيةً كانت أو فارسيّةً وعرفَ المغْزى من كلَّ لفظةٍ ثم ساعدَهُ اللّسانُ على النُّطق بها وعلى تَأديةِ أجراسِها وحُروفِها فهو بَيِّنٌ في تلك اللّغةِ كاملُ الأداةِ بالغٌ منَ البيانِ المبلغَ الذي لا مزيدَ عليه ، مُنتهٍ إلى الغايةِ التي لا مذهَبَ بعدَها يسمعُ الفَصاحةَ والبلاغةَ والبراعةَ فلا يعرفُ لها معنىً سوى الإطْنابِ في القول... وجملةُ الأمر أنَّه لا يَرى النّقَص يدخلُ على صاحبهِ في ذلك إلا من جهةِ نقصِه في علم اللُّغة لا يعلم أنَّ ها هُنا دقائقَ وأسراراً طريقُ العلمِ بها الرويَّةُ والفِكرُ ولطائفَ مُسْتقاها العَقلُ..." [1].

و كانت ثنائية اللفظ و المعنى هي جوهر كل الدراسات البلاغية و النقدية فأصبح اللفظ مساوياً لمفهوم الصورة ، فتلك المزايا التي كان يخُصُ بها النقاد و البلاغيون القدماء اللفظ من دون المعنى يعطيها "الجرجاني" تأويلاً آخر، إذ

1 الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز: 1/23-24.

ينظر إلى اللفظ والمعنى كطرفين لا ينفكان يشكلان ما سمّاه اللغويون المحدثون العلامة اللسانية أو الدليل اللساني ، فأولئك النقاد الذين عناهم الجرجاني لا يبنون انطباعهم الجمالي على الصورة الصوتية للكلمة بمعزل عمّا توحيه من دلالة بديعة بل ينظرون إلى اشتراك اللفظ والمعنى معاً في إحداث صورة دلالية ، فالجرجاني يضيف طرفاً ثالثاً في معادلة الفعل الدلالي ، بلحاظ أن طبيعة المعنى عند اللغويين القدامى لا تختلف عن الشيء الخارجي الذي يومئ إليه اللفظ وهو المدلول ، فيحصل أن الصورة الخاصة التي حدثت في المعنى إنّما يعني بها "الجرجاني" ما عناه علماء الدلالة والألسنية المحدثون بالمحتوى الذهني للإشارة اللغوية ، يفصّل ذلك "الجرجاني" بقولـه: " فيعلموا (أي النقاد) أنّهم لم يوجبوا ما أوجبوه من الفضيلة وهم يعنون نطق اللسان وأجراس الحروف ولكن جعلوا كالمواضعة فيما بينهم أن يقولوا اللفظ وهم يريدون الصورة التي تحدث في المعنى والخاصّة التي حدثت فيه"[1].

وعلى أساس هذا النص يمكن مقاربة رؤية "الجرجاني" للدليل اللساني برؤية المحدثين من العلماء الذين أوضحوا المكونات الثلاثة للعلامة اللغوية وهي: الدال والمدلول والمحتوى الذهني ، فالجرجاني يحدّد ثلاثة مكونات تنشأ عن علاقة اللفظ بالمعنى وهي: اللفظ، والمعنى (الشيء الخارجي) ، والصورة الذهنية.

و قد ارتبطت البـلاغـة بهذه المقـاربة التي أشـار إليـها "الجـرجـاني" أكثـر بميـدان علم الدلالة ، إذ تتبلور الدلالة بلاغياً ولغوياً ونقدياً جملة واحدة ، عند التفاصيل الدقيقة التي تجعـل الدال علامة يرمز إليها بالأشكال ، و المدلول أمارة يؤكد عليها بالمعاني ، والعلاقة القائمة بينهما نتيجة محورية تتمخض عن التقائهما ، كمـا أنّ من غايات علم الدلالة البحث في أساليب اللغة ، واختلافها باختلاف نصوصها وعصورها والناطقين بها، وتطوّر هذه الأساليب ، وقوانين تطورها ، في إطـار ما يسمـى بعلم الأساليب.

(1) نفســه ، 1/345-346.

7 – البحث الدّلالي عند البلاغيين القدماء :

عنى البلاغيون القدماء بمجالات العلاقة بين اللفظ والمعنى، نحو مناقشتهم دلالة اللفظ على المعنى المدلول ، و أهمية اللفظ في هذه العملية الإنسانية السريعة ، وأهمية المعنى في كونه الأصل الذي تكونت من أجله الألفاظ ، ومسائل فلسفية أخرى كانت محيّرة غير ثابتة الآراء ، نحو تلك التي تناقلوها حول نشأة اللغة ، فالمحدثون لم يأتوا بجديد محض ، أو يبحثوا ما لم يسبق إليه ، إذا لاحظنا جهود القدماء الذين أشاروا لجمل من الموضوع ، أو كتبوا فيه ، أو كشفوا عن سماته ، فحققوا مزية الاكتشاف العلمي .

وثمّة مَباحث دَلاليّة أخرى عُني بها اللغويون تتعلّق بالعلاقات الدلالية وبيان أصول الألفاظ والحقيقة والمجاز في الدلالة اللغوية ، وبأثر الدلالة في المتلقّي، وأثر المتلقّي في صياغة الخطاب اللغوي ، فلم يقفوا عند الصورة الخارجية للغة ، وإنّما سَعَوا إلى الكشف عن المَدلولات النفسيّة لها، وبَحثوا في المَفاهيم الفنيّة للدلالة المُتمثّلة بالأساليب البيانيّة وقدرتها على الإشارة إلى المعنى الخفيِّ للنصِّ ، وأثر السياق في الوصول إلى ذلك المعنى[1].

إن الدلالة كامنة مستترة لا ظهور لها من دون العلامة التي تجسدها وتحققها في الواقع اللغوي ، والعلامة عند الجاحظ تشمل الوسائل التعبيرية الممكنة، اللغوية وغير اللغوية، وبذلك يكون قد أوضح المسألة الدلالية في بعدها الكلي وهو ما أضحى يعرف بعلم الرموز ، فقد عدَّ الجاحظ "ت255هـ" : خمسة أصناف من العلامات "أدوات البيان" هي: اللفظ والإشارة والعقد والخط والحال أو النصبة، بقوله: " وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد:

1 ينظر: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: ص171، والدلالة اللغوية عند العرب: 154 .

أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال ، التي تسمى نصبة...، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها ، وحيلة مخالفة لحيلة أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ، ثم عن حقائقها في التفسير..."[1].

والدلالة بهذا المعنى لا تختصّ باللغة فقط ، بل هي عامّة في كلّ ما يوصِل إلى المدلول ، و في ذلك يقول "الجاحظ" : "ومتى دَلّ الشيء على معنىً ، فقد أخبرَ عنه وإن كان صامتاً ، وأشارَ إليه وإن كان ساكناً " [2] ، و لا بدّ قبل البدء بتحديد مفهوم "الدلالة" عند القدماء والمحدثين من التفرقة بينه وبين مصطلح " المعنى" ، فالدلالة هي مُحصِّل مجموع المعاني اللغويّة التي يتضمّنها اللفظ ، وهي وسيلة الوصول إلى المعنى ، فبها يومَأ إلى مفهوم اللفظ ، أمّا المعنى فواحد من المفاهيم الدلالية التي يشير إليها اللفظ ، لذا تعدّ الدلالة أوسع من المعنى وأشمل[3].

و يؤسس الجاحظ لمفاهيم لسانية ودلالية تتوخى الشمولية في التناول ، منطلقاتها شروط توصيل الدلالة كما يقصد إليها المتكلم مع وعي دقيق بأوضاع المستمع المتلقي ، وأجوائه النفسية والحالية العامة ؛ فالبلاغة عنده تهدف إلى تحقيق غاية الإبلاغ في الكلام البشري ، وتتلخص في حسنٍ بوسائل مختلفة ذات نسق تنظيمي محكم ، ويقول ملخصاً ذلك كله: " وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون إطار المعنى[4].

و بعد جهود الجاحظ ، نرى أنّ الدلالة في الاصطلاح عند "أبي هلال العسكري" هي كل ما يمكن أن يستدل به ، قَصَدَ فاعله ذلك ، أو لم يقصد [5] ، كما ذهب "الشريف

1 الجاحظ أبو عثمان عمرو بحر ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ط3، القاهرة، 82/1.

2 نفسه : 82.81/1.

3 ميشال زكريا ،الألسنية التوليدية والتحويلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت، 1982م: 141.

4 ينظر: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي:.89.

5 ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1973م: 52.

الجرجاني" إلى أن الدلالة " كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول"[1].

ويمكن من خلال هذا التعريف أن نلاحظ ارتباطاً و علاقةً بين المعنى اللّغوي للدّلالة والمعنى الاصطلاحي لها، ذلك أنّ أصل الدلالة في اللغة الاستدلال على الطريق بالدليل أو الدال لأجل الوصول إلى الغاية المطلوبة ، ثم نُقل المعنى إلى كيفية الاستدلال على المعنى باللفظ ، فيكون اللفظ هو الدليل إلى المدلول، وهو المعنى المطلوب ، فانتظم في ذلك الدليل والدال والمدلول ووحَّد بينهم الفعل الدلالي، وبذلك يمكن تصوّر نظرة البلاغيين للدّلالة على أنها فعلٌ يوحدّ الدّال والمدلول ونتاج هذا الفعل يكون في الدليل [2] .

و على خلاف الجاحظ يرى "عبد القاهر الجرجاني" "ت 471 هـ " أنّ المزيّة ليست للّفظ على حساب المعنى ، بل للنظم الجامع بينهما[3] ، إذ إنّ الألفاظ أوعية للمعاني يمكن أن يتصرف بها الناظم فيوجهها كيف يشاء على وفق ضوابط اللغة، فلا تفاضل بها، وقد أنكر "عبد القاهر الجرجاني" مبدأ التفاضل بينها " لأن اللفظ لا يحمل دلالة طبيعية أو ذاتيّة من تركيب حروفه ، وإنما الدلالة التي يحملها هي دلالة وضعية ، فهل يتصوّر أن يكون بين الألفاظ تفاضل في الدّلالة حتى تكون هذه اللّفظة أدل على معناها الذي وُضِعَتْ له من صاحبتها على ما هي موسومة به"[4].

1 الشريف الجرجاني أبو الحسن علي بن محمد ، التعريفات، ، ، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1986م: 86 .
2 ينظر: تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها، ، الهيئة المصرية ، القاهرة، 1973م: 341 – 342.
3 عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز، تح: محمد التنجي.،مطبعة دار الكتاب ، بيروت، 1995م 430.
4 التفكير الدلالي عند العرب، د. عبد القادر سلامي: ص6 .

و قد أورد "الجرجاني" في هذا المجال قوله : " فلو أنّ واضع اللّغة كان قد قال " رَبَضَ " مكان "ضَرَبَ " لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد"[1] ، ومعنى هذا أنّ العلاقة بين الدّال والمدلول لا تخضع إلى تعليل، ولا يمكن أن تفسّر؛ فهي علاقة اعتباطية ، واللفظ عبارة عن مجموعة من الحروف منظومة نظماً لا يوحي بالدلالة الحقيقية المستفادة منها بالوضع أو الاصطلاح .

وفي نفس السياق يوّضح "عبد القاهر" أنّ اللفظ يحمل دلالة وضعية لا دلالة طبيعية أو ذاتية من تركيب حروفه ، منكراً بذلك مبدأ التفاضل بين الألفاظ ، فلا يتصوَّر أن يكون بين اللفظ تفاضل في الدلالة حتّى تكون هذه اللفظة أدلّ على معناها الذي وضعت له من صاحبتها على ما هي موسومة به حتّى يقال إنّ "رجلاً" أدلّ على معناها من "فرس" على ما سمّي به وحتّى يُتصوَّر في الاسمين الموضوعين لشيء واحد أن يكون هذا أحسن نبأً عنه وأَبين كشفاً عن صورته من الآخر، فيكون "الليث" مثلا أدلّ من السَّبُع المعلوم من "الأسد"، وحتّى أنّا لو أردنا الموازنة بين اللغتين كالعربية والفارسية ساغَ لنا أن نجعل لفظة "رجُل" أدلّ على الآدمي الذَّكَر من نظيره في الفارسية[2] ، ويدعم هذا الطرح ما انتهى إليه البحث عند" دي سوسير" ، الذي حاول تفسير العلاقة بين اللفظ والمعنى ، فقال باعتباطية الدليل اللساني ، وإنَّ الرّابط بين الدّال " والمدلول" هو رابط غير معلّل.

ويحدّد "الجرجاني" كيفية اختيار المتكلم للمعاني والألفاظ أثناء الموقف الكلامي بقوله: " إن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولاً في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في

1 المصدر السابق: 56/1.

2 ينظر: المصدر السابق: 52/1.

النطق" [1] ، وهو يشير إلى أنَّ هناك عمليتين تتمّان مع التّلفّظ ، تسبق إحداهما الأخرى ، الأولى تتمثل في انتظام المعاني في الذهن ، ويصحبها حسن اختيار الدلالات المناسبة للموقف الكلامي ، والثانية تتمثل في انتظام المعاني في ألفاظ وتراكيب بأنساق مختلفة ، و حسن الاختيار هو مكمن البلاغة .

و يعلّل "الجرجاني" لأسبقية المعاني على الألفاظ بأنّه : " لو كانت المعاني تكون تبعاً للألفاظ في ترتيبها لكان محالاً أن تتغيرّ المعاني و الألفاظ بحالها لم تزل عن ترتيبها فلمّا رأينا المعاني قد جاز فيها التغيّر من غير أن تتغيّر الألفاظ وتزول عن أماكنها علمنا أن الألفاظ هي التّابعة والمعاني هي المتبوعة "[2].

وما يلاحظ أيضا أن "الجرجاني" يعطي الأسبقية للمعاني في الوجود النفسي والألفاظ تابعة لها في الواقع الكلامي ، وهذا ما يفسّر لا نهائية المعاني التي أقرّها المحدثون مقابلة نهائية الألفاظ ، واستخلصوا أن المتكلم يلجأ إلى توظيف الانزياح الدلالي لسدّ ثغرة دلاليّة لا يستطيع المعجم غالبا أن يملأها خاصّة في مجال الأسلوبية التي تعتبر من مدارس البلاغة الحديثة .

و قد تطرق علماء إعجاز القرآن كالرماني والخطابي والباقلاني والجرجاني إلى كثير من المسائل البلاغيّة التي ترتبط ارتباطاً وثيقا بالدرس الدلالي كالترادف والفروق وصفات الألفاظ ونحوها .

إن هذا الفهم العميق للدلالة ينم عن مدى النضج المعرفي الذي أحرزه علماء العربية و أئمة البلاغة ، فالشريف الجرجاني يتجاوز بتعريفه الدّلالة ليشير إلى علم آخر أعمّ من الدّلالة وهو ما يعرف بعلم الرموز أو بالسيمياء ، و ذلك عندما

1 دلائل الإعجاز: 58/1.

2 المصدر نفسه: 281/1.

نصّ على أن " الدلالة هي كون الشيء بحاله يلزم من العلم به العلم بشيء آخر" ، فقوله "الشيء" بدل "اللفظ" ، ينمّ عن وعي من القدماء بأنّ العلامة الدلالية أوسع و أكبر من "اللفظ" ، فقد تكون إشارة أو إيماءة ، و يعتبر هذا إشارةً منه إلى هذا العلم الذي يعني بالرموز والعلامات اللغوية وغير اللغوية ، وقد نلمس بعض القصور في سعي "الجرجاني" في بلورة مفهوم عام يخص الدلالة وأنواعها ذلك "لأن العرب المتقدمين لم يكونوا يعنون بعلم الدّلالة ، كما يحاول العلماء اليوم بناءه ، نظراً لتعقد الحضارة وارتباطها الوثيق باستعمال العلامات بالمعارف والفنون التي لا تتحقق إلا في أنساق من العلامات"[1].

إن تلك الإشارات العابرة إلى ما قدمه القدماء في مجال التأسيس النظري للدلالة ، يبرز ثراء تراثنا المعرفي الذي اتخذ من النص القرآني معطى مثالي من أجل وضع أسس لنظريةٍ معرفيةٍ شاملة ، وبخاصة إذا علمنا أن القدماء قد امتلكوا القواعد اللغوية والمنطقية والفلسفية من أجل إبراز الجوانب المهمة في النص المقدس ، وأن الحيطة التي أخذوها في التعامل مع أحكام القرآن زادت من منطقية معارفهم وصدق مفاهيمهم.

وخلاصة القول إنّ البحث الدلالي لدى علماء البلاغة العربية كان واضح المعالم، وقد اتسع وشمل أغلب المباحث الدلالية التي استقرت في علم اللغة الحديث، ولكنّه كان بحثاً متفرقاً في مؤلفاتهم المختلفة .

1 عاطف القاضي ، علم الدلالة عند العرب ، (الفكر العربي المعاصر)، عدد 18-19 السنة: 1982م: 127.

8 – البحث الدلالي عند المحدثين :

لم تستقر الدراسة التي تتخذ من المعنى محوراً لها علماً له سماته المنهجية حتى دخلت اللغة مختبر التجريب ، وغدا من الضروري إخضاع محتوى اللغة لما أُخضع له شكلها ، ولعل طبيعة المعنى موضوعُ علم الدلالة هي التي أرجأت اكتشاف النواميس التي تتحكم فيه ، إذ إن ما انطوت عليه تلك الطبيعة من تركيب وتعقيد جعلت منه ومن العلم المختص به مداراً يستقطب علوماً مختلفة من جهة، ومن جهة أخرى فقد فرض تعقيده استبعادَه أصلاً من مجال الدرس –في الوقت الحاضر على الأقل– ، ذلك لأن "معظم اللسانيين قد صب براعته وفطنته على جسد الكلمات وشكلها ، أما القوانين التي تحكم تحول المعاني واختيار التعابير الجديدة ، وولادة العبارات وموتها فقد تركت في الظل ، أو لم تكن الإشارة إليها إلا بشكل عابر"[1].

و يرى فريق من الدارسين أن البحث عن المصطلح العلمي في التراث المعرفي العربي القديم ، قد لا يقدم للدرس اللغوي الحديث شيئاً ذا أهمية عدا أنه يضع يد الباحث ، على التاريخ الأول لميلاد المصطلح و يطلعه على الإطار العام الذي دارت حوله موضوعات "الدراسة" في طورها البدائي، وقد يحصل تطور جذري في مفهوم المصطلح ، فينتقل مفهومه من حقل دلالي معيّن ، إلى حقل دلالي آخر خاضعاً لسنن التطور الدلالي الذي يمسّ بنية اللّغة وعناصرها عبر مسارها التاريخي المتجدّد ، ويخشى على الباحث أن يضيع جهده سدى في خضم البحث عن الولادة الأولية لصيغة المصطلح ودلالته .

و قد أُخذ مصطلح علم الدلالة "Sémantique" بالفرنسية أو "Semantics" بالإنجليزية من الأصل اليوناني "Sémantikos" أو "**Semmaino**" بمعنى : يعني

1 منذر عياشي، اللسانيات والدلالة – الكلمة: مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1996م: ص69.

ويدلّ، ومصدره كلمة "sema" أي دال ، ولكنّ هذا المصطلح لم يحمل معناه العلمي الحديث إلاّ في كتاب "محاولة في علم الدلالة" للفرنسي "ميشال بريال" عام1897م، وعُدّ علم الدلالة، أو علم المعنى أحد أقسام اللسانيات ، وقد نبّه الباحثون من بعد "بريال" إلى الناحية الاجتماعية والعوامل الخارجية الفاعلة في تطور المعنى، ثمّ جاء المؤلفان الإنجليزيان "أوغدن C K–Ogden" و "ريتشاردز Richards I A" فبحثا في كتابهما "Meaning of Meaning" الذي صدر عام1923م، تطوّر المعنى من الناحيتين الاجتماعية والنفسية[1] .

و يعرّف علم الدلالة أو "**semantics**" : "بأنه علم أو نظرية المعاني، ويعد غاية الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية وإن لعلم الدلالة علاقة وطيدة بها ، إذ لا يكاد علم يخلو من الجوانب الدلالية فيه"[2] ، ويطلق عليه أيضاً بعض الباحثين علم المعنى، وقد تتفق تعريفات علم الدلالة على أنه علم لغوي حديث، يبحث في الدلالة اللغوية ، ويلتزم فيها حدود النظام اللغوي والعلامات اللغوية ، من دون سواها، وأنَّ مجاله دراسة المعنى اللغوي على صعيد المفردات والتراكيب[3]، ويقال فيه أيضاً أنَّه: العِلْمُ الذي يَدرسُ المعنى، أو فَرعٌ مِن عِلم اللغةِ يَتناولُ نظريةَ المعنى، أو ذلكَ الفرعُ الذي يدرسُ الشروطَ الواجبِ توافرها في الرَّمز حتى يكونَ قادرا على حملِ المعنى[4].

في دراسة المعنى يقول "بيار جيرو" : "هي القضية التي يتم خلالها ربط الشيء والكائن والمفهوم والحدث بعلامة قابلة لأن توحي بها: فالغمامة علامة المطر،

1 ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: 317–318، وعلم الدلالة، عمر: 22، وعلم الدلالة، لوشن: 15.

2 ينظر: علم الدلالة، اف آر بالمر، تر: مجيد الماشطة، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1985م: 8.

3 عبد القادر سلامي ، التفكير الدلالي عند العرب، دراسة تأصيلية ،

4 أحمد مختار عمر علم الدلالة ، مكتبة دار العروبة، الكويت، 1402هـ/1982م: ص 11 .

وتقطيب الحاجب علامة الارتباك والغضب، ونباح الكلب علامة غضبه، وكلمة حصان علامة الانتماء إلى فصيلة الحيوان"[1].

والملاحظ أنّ الباحثين العرب المحدثين على شيء من الخلاف في تعيين مصطلح عربيّ ، يقابل مصطلح "السيمانتيك" بالأجنبية ، الذي أطلقه اللغوي "بريال" على تلك الدراسة الحديثة ، التي تعنى بجوهر الكلمات في حالاتها الإفرادية المعجمية وحالاتها التركيبية السياقية وآلياتها الداخلية التي هي أساس عملية التواصل والإبلاغ ، فاهتدى "ابراهيم أنيس" إلى مصطلح "المعنى" بوصفه مصطلحا ورد في متون الكتب القديمة لعلماءٍ أشاروا إلى الدراسة اللغوية التي تعنى بالجانب المفهومي للفظ، كالجرجاني، الذي يعرف الدلالة الوضعية ، بأنها " كون اللفظ بحيث متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه للعلم بوضعه"[2] ، وعنون ابراهيم كتابه : "دلالة الألفاظ" بهذا العنوان"[3] ، واستعمل " فايز الدّاية " دلالةَ "الدَّلالة" الواردة في الكتب اللغوية العربية القديمة وأعطاها صفة المصطلح باسم "علم الدَّلالة" مقابلاً للسيمانتيك ، تجنّباً للوقوع في اللّبس ، فآثر اللغويون ترك مصطلح "علم المعنى"، لأنّ فيه عموماً من جهة ، ولأنّه لا يعين من جهة أخرى على اشتقاقات فرعية مرنة نجدها في مادة "الدلالة، ودلّ، والدّال، والمدلول، والمدلولات، والدلالات، والدلالي" وغيرها، ولأنه لفظ عام يرتبط بالرموز اللغوية وغير اللغوية ، وآثروا ترك مصطلح "علم المعاني"؛ لكونه فرعاً من البلاغة وهو علم المعاني[4].

و على كلّ حال فقد كان علم الدلالة في العالم العربي بطيء التطوّر قياساً إلى ما توصّل إليه الغربيون، لأنّ الدّارسين العرب ظلّوا تحت جناح القدماء ، ينهلون

1 بيار جيرو ، علم الدلالة، ، تر: أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، 1986م ، ص 15 .

2 الشريف الجرجاني ، التعريفات،: 215.

3 ينظر: إبراهيم أنيس دلالة الألفاظ، ، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1996 م.

4 ينظر: علم الدلالة العربي: 9، وعلم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي: 21– 22.

من التُراث ، و يُوازنون بينه وبين ما قاله علماء الغرب ، وكانوا على قسمين : بعضهم رفضَ هيمنة الرؤية التراثية ، ودعا إلى الأخذ بالمفاهيم الغربيّة بعيداً عن عِلم الأوّلين الذي انتهى و لا جديد فيه[1] ، على أنّ أغلبَهم يرفضُ ذلك ويرجّح الاستظلال بعِلم القدماء، و يتفاخر بالوقوف عند جهودهم الدّلاليّة الأصيلة ، وفاءً لهم وعرفاناً بفضلهم ، فهم الجذور التي لا يمكن استئصالُها ، وسعى هؤلاء – وهم الغالبية – إلى توظيف هذا التراث ليصُبّ في ميادين علم الدَلالة الحديث تواصُلاً مع تطوّر العصر والدراسات الحديثة ، والنُهوض بدراساتٍ تُطعّم القديم بالحديث وتقوم على أُسُسٍ جدليّة خِصبة[2] .

وتبعاً لذلك اتسع نطاق البحث الدّلالي ، وبرز لغويون كثيرون وضعوا نظريات مختلفة وأرسوا بذلك قواعد أضحت مدارس دلالية ، تنظر إلى قضية "المعنى" بنظريات مختلفة ، وداخل المنهج الأوحد للبحث الدلالي ظهرت مناهج فرعية لتقديم الأجوبة للمسائل التي طرحت في الدراسات الدلالية ، وعجز عنها البحث اللغوي قبلها.

و علم الدّلالة يغطّي فرعين مهمين: أحدهما يهتم ببيان معاني المفردات المعجمية ويسمى بـ "المعاني المعجمية" ، والآخر يهتم ببيان معاني الجمل والعبارات أو العلاقات بين الوحدات اللغوية مثل الوحدات الصرفية والكلمات والجمل، وقد سماها بعضهم "المعاني النحوية" ، وكلاهما يؤدي وظيفة تجلية المعنى عن طريق النظر في النحو والصرف والصوت وبيان المعنى المعجمي، لبيان الدّلالة[3].

فعلم الدلالة لا يمكن فصله عن علوم اللغة الأخرى ، بل تتعاون جميعها لتكون ما يسمى بالسياق اللّغوي ، فالفرع الثاني الذي يهتم ببيان معاني الجمل والعبارات

1 ينظر: اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسي الفهري: 60.61.

2 للتفصيل في أسماء الدلاليين العرب ينظر في كتاب: تطوّر البحث الدلالي دراسة في النقد البلاغي واللغوي .

3 ينظر: علم الدلالة، عمر: 13، 14.

يلتقي في كثير من جوانبه مع نظرية النظم عند "عبد القاهر الجرجاني"، لكن "عبد القاهر" يرى أن دلالة التركيب في الجمل هي دلالة بلاغية أسلوبية في حين ذهب بعض علماء اللغة المحدثين[1] إلى أن دراسة الكلمات وصورها لا لذاتها، وإنما لغرض معنوي يخدم الجمل والعبارات ، و بذلك نجد أنّ علم الدّلالة يعتبر إطاراً جديداً يحدّد المعايير في الدراسات النقدية و البلاغية من خلال تتبّع الصور الجمالية البلاغية أثناء اهتمامه بدراسة أداء المعاني في غير ما لُبس أو خلطٍ و التأكد من وصول الخطاب البلاغي في أحسن صورة .

1 كمال محمد بشر، دراسات في علم اللغة (القسم الثاني) ، ص 85 .